Osmanlı Döneminde Eğitim ve Öğretimde Arapçanın Varlığı

Usama SAHARI[*]
Doktora Öğrencisi, Yalova Üniversitesi,
İlahiyat Fakültesi, Temel İslam Bilimleri Bölümü,
Arap Dili ve Belâgati Anabilim Dalı
usama.sahari@marmara.edu.tr
https://orcid.org/0009-0000-7143-1738

ÖZ

Son yüzyılda, bazı yazar, akademisyen ve medya profesyonelleri, Osmanlı döneminde Arap dilinin gerçekliğini zayıf bulmuşlardır. "Osmanlı Döneminde Öğretme ve Öğrenimde Arap Dilinin Varlığı" başlıklı bu çalışmada, o asırlık dönemde Arap dilini ihmal ve zayıflık olarak nitelendiren iddialar sorunu tartışılmaya çalışılmıştır. Çalışma, bu iddiaları inceleyerek belgelenmiş tarihi gerçeklere ne ölçüde yakın olduklarını göstermenin yanı sıra Osmanlı İmparatorluğu'nun gerçek etkisini ve genel olarak İslam kültürünün ve Arap kültürünün korunmasında neler yaptığını ortaya koymayı amaçlamıştır. Araştırmacı, bilgi toplayan ve ardından doğru ve sağlam olanlara ulaşana kadar bunları karşılaştıran tarihsel yönteme güvendi. Araştırma sonucunda, Arap dilinin Osmanlı döneminde, öğretim ve öğrenimde, bazı padişahların bilim ve edebiyata olan ilgileri sayesinde var olduğu ve bunun ülke genelinde çeşitli okulların kurulmasına ve Arapçanın Arapçaya yansıdığı sonucuna varılmıştır. Yönetim, yazarlık ve eğitime girdiği için dil önemli bir konuma sahipti. Birçok kurs Arapçadır ve bazı okullarda eğitim dili Arapçaydı. Arap şairler edebî değerleri için ortaya çıkmış, Arap olmayan şair ve âlimlerin de Arapça şiirler yazdığına dikkat çekilmiştir.

Anahtar Kelimeler: *Varlık, Arap Dili, Osmanlı Dönemi, Eğitim, Öğrenme, Şairler*

The Presence of The Arabic Language in Education During The Ottoman Period

ABSTRACT

In the last century, some writers, academics, and journalists described the status of the Arabic language during the Ottoman period as weak. This study discusses the allegations that described the Arabic language during the Ottoman period as weak and neglected. The study aims to scrutinize these allegations and verify their conformity with documented historical facts. It also aims to highlight the impact of the Ottoman Empire in preserving Islamic and Arab culture. The researcher followed the historical method in preparing this study. He collected information from its documented sources, and then made comparisons between them in order to reach the correct results. The study concluded that the Arabic language was present in education during the Ottoman era. Many of the Ottoman sultans were interested in science and literature. This interest was evident in the establishment of schools throughout the country at the time. During that period, Arabic has gained an important place in those schools. It was used in administration, authorship and education. So many of the courses were in Arabic. Indeed, Arabic was the language of instruction in a number of schools. In the Ottoman period, great Arab poets appeared. In the same period some non-Arab poets and scholars also composed poetry in Arabic.

Keywords: *Arabic Language, Education, Ottoman Period, Poets.*

[*] Makale Geliş Tarihi / Received: 05.08.2022
Makale Kabul Tarihi / Accepted: 17.09.2022

حضور اللغة العربية تعليماً وتعلماً في العصر العثماني

أسامة بن محمد طاهر سحاري*

ملخص

رمى عدد من الكتاب والأكاديميين والإعلاميين، في القرن الماضي، واقع اللغة العربية في العصر العثماني بالضعف. وقد حاولت هذه الدراسة الموسومة بـ" حضور اللغة العربية تعليماً وتعلماً في العصر العثماني" مناقشة مشكلة الادعاءات التي وسمت اللغة العربية بالإهمال والضعف في ذلك العصر الممتد قروناً. وقد هدف الدراسة إلى فحص هذه الادعاءات وبيان مدى مقاربتها من الحقائق التاريخية الموثقة، وكذلك إظهار الأثر الحقيقي للدولة العثمانية، وما فعلته من حفاظٍ على الثقافة الإسلامية عامة، والعربية خاصة. وقد اعتمد الباحث على المنهج التاريخي الذي يقوم بجمع المعلومات ثم يقارن بينها حتى يصل إلى الصحيح السليم منها. وتوصلت الدراسة إلى أن اللغة العربية كان لها حضور في العهد العثماني تعليماً وتعلماً، وذلك من خلال اهتمام عدد من السلاطين بالعلوم والآداب، وقد انعكس ذلك في إنشاء المدارس المختلفة في أرجاء البلاد، وكان للعربية مكانة مرموقة، إذ دخلت في الإدارة والتأليف والتعليم، فكانت كثير من المقررات الدرسية باللغة العربية ، وكانت العربية لغة التدريس في عدد من المدارس. وقد برز شعراء عرب لهم قيمتهم الأدبية، و لوحظ أن هناك شعراءَ وعلماءَ غيرَ عرب نظموا أشعاراً بالعربية.

الكلمات المفتاحية: حضور –اللغة العربية – العصر العثماني – التعليم – التعلم – الشعراء

* طالب دكتوراه في جامعة يالوفا، معهد التعليم العالي، كلية العلوم الإسلامية فرع الدراسات العربية والإسلامية.

مقدمة

أظهرت كثير من المؤسسات والكتب والحكومات العربية صورة العثمانيين على نحوٍ سيّئ جداً، وتجلى ذلك في المقررات التعليمية لمادة التاريخ، إذ يكفي أن تنظر إلى مقرر مادة التاريخ الحديث والمعاصر في المتوسطة أو الثانوية في بعض البلاد العربية فإنك واجد كلمات مثل: (الاحتلال العثماني، والجهل والتخلف والفقر، والظلم والاضطهاد)[1].

أما في الدراما، فقد اضطلعت بعض مؤسسات الإنتاج الإذاعي والتلفزيوني، في غيرِ بلدٍ عربي، بإنتاج عدد من المسلسلات التي تسيء للإدارة العثمانية وللجيش العثماني، وتستهزئ بهم[2]. نتج عن ذلك صورة نمطية أشبه بالحكم العام على تلك الحقبة عند شريحة عريضة من شرائح المجتمع العربي، وتتلخّص بأن العثمانيين محتلون[3] لبلادنا، وأنهم أهملوا العرب واللغة العربية، وهذا أدى إلى انتشار الجهل والفقر.

ولما كانت تركيا وريثةَ الدولة العثمانية —كما يعدّ– فإن النظر إلى الدولة التركية ثقافياً هو امتداد للنظر إلى الدولة العثمانية وتاريخها الطويل. من هنا وجب أن نناقش واقع اللغة العربية في العصر العثماني، والدعاوى أو الشبهات التي رميت بها اللغة العربية تعلماً وآداباً وعلماءً[4].

هذا وتشتمل الدراسة على ثلاثة مباحث، هي:

أولاً– أساسيات الدراسة.

ثانياً– مقولات شائعة عن الأدب العربي في العصر العثماني.

ثالثاً–واقع اللغة العربية وتعليمها وعلومها في العصر العثماني.

---

[1] يبدو ذلك واضحاً في المقررات المدرسية لمادة التاريخ في سوريا أو في الأردن...

[2] انظر: مسلسل "ممالك النار"، وهو من أحدث ما عُرض، تأليف: محمد سليمان عبد المالك، إخراج: بيتر وبير، أنتجته شركة جينومينيا الإماراتية، بثَّ أول مرّة سنة 2019 م، على قنوات MBC، يغطي المرحلة الأخيرة من الحكم المملوكي وبداية الحكم العثماني. وانظر كذلك مسلسل "إخوة التراب"، وهو من أشهر المسلسلات التي تناولت هذه الحقبة، من تأليق: حسن م يوسف، إخراج: نجدت إسماعيل أنزور، أنتجته شركة الشام الدولية للإنتاج السينمائي والتلفزيوني، بثّ أول مرة عام 1996م، يغطي المرحلة الأخيرة من الحكم العثماني .

[3] تطلق هاتان اللفظتان(احتلال، محتلّ) على الحكم العثماني، بينما تُطلق لفظة (انتداب) على الاحتلال الفرنسي لسوريا ولبنان. فتأمّل!

[4] سأعرض لعدد من الدراسات التي تبنت هذه الادعاءات في خلال البحث.

المبحث الأول– أساسيات الدراسة:

ظهر في القرن المنصرم عدد من الباحثين العرب رمى اللغة العربية وحضورها الثقافي في العصر العثماني بالضعف، وعليه فإن هذه الدراسة تناقش **إشكالية** الادعاءات التي وسمت اللغة العربية في العصر العثماني بالضعف ، ويتولد من هذه المشكلة عدد من **الأسئلة** التي تحاول الدراسة إجابتها:

1.ما الأفكار التي اتُّخِذَت مَطْعَناً على العصر العثماني ؟

2.مَنْ أشهرُ من تبنَّوا فكرة الطعن بالحكم العثماني وإهمال اللغة العربية.

3.كيف كان حضور اللغة العربية حسب المخطوطات المصادر الموثوقة؟

وكذلك فإن الدراسة تكتسب أهميتها من الآتي:

1.تأتي في وقت تشهد فيه العلاقات بين تركيا وبعض البلاد العربية تقارباً كبيراً، كالتقارب مع ليبيا والجزائر والصومال وقطر. كما تشهد هذه العلاقات إعادة تقاربٍ أو ترميمٍ مع دول أخرى كالسعودية والإمارات ومصر.

2.الاهتمام البالغ بالدراسات التي تعنى بهذه الحقبة لدى الأتراك والعرب على حد سواء.

3.هذه الدراسة ضميمة تنضاف إلى دراسات أخرى، يُفيد منها المهتمون بشأن تاريخ المِكَوِّن العربي وتاريخ اللغة العربية في العصر العثماني.

و**تهدف** الدراسة إلى فحص هذه الادعاءات وبيان مدى مقاربتها من الحقائق التاريخية الموثقة، وكذلك إظهار الأثر الحقيقي للدولة العثمانية، وما فعلته من حفاظٍ على الثقافة الإسلامية عامة، والعربية العربية خاصة.

وقد انتهج الباحث المنهج التاريخي الذي يقوم بجمع المعلومات ثم يقارن بينها حتى يصل إلى الصحيح السليم منها، وذلك بالاعتماد على المصادر والمراجع التي اهتمت بهذا العهد وأرخت له التاريخ العام وتاريخ الأدب العربي خاصة.

ويذهب الباحث إلى استخراج أهم الدعاوى من مظانها في أشهر ما كتب من تآليف، تناولت العصر العثماني بالبحث والدراسة، ولاسيما تلك التي تؤرخ لآداب اللغة العربية.

المبحث الثاني- مقولات شاعت عن الأدب العربي في العصر العثماني:

1. أصحاب المقولات:

ربما يكون ما قاله شوقي ضيف(ت 2005م) عن العربية وآدابها، في ذلك العصر من أشهر ما انتشر في المسألة ، إذ يقول: "دخل العصر العثماني وتدخل معه مصر في ظلام قاتم ... فقد سلَب سليمٌ فاتحُها خيرَ ما فيها من ثروة علمية وفنية، إذ أخذ معه كثيراً من التُّحف والكتب، كما أخذ معه كثيراً من الأدباء والعلماء والمهندسين..."[5].

وعن حال الأدب والشعر فإننا نجده قد اتهم العصر العثماني بالعُقم والجمود : " لا نستطيع أن نقول: إن الشعر انعدم في العصر العثماني، فقد كان موجوداً لكنه وجودٌ خيرٌ منه العدمُ، إذ اقتصر على جماعة يقرؤون بعض القصائد الموروثة ... ثم يعارضونها أو يخمسونها أو يربّعونا "[6]

وإذا ما تتبعنا هذا القولَ الشهير وأضرابَه فسوف نجد أصوله – إن صحّت العبارة- ترجع إلى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وربما كان جرجي زيدان[7] (تـ 1914م) هو من أوائل من ذهب هذا المذهب وزعم هذا الزعم. وقد اشتهر جرجي زيدان بالروايات التاريخية المسماة بـ(روايات تاريخ الإسلام)، غير أنه كتب كتباً أخرى مشهورة كـ(تاريخ التمدن الإسلامي) و(تاريخ آداب اللغة العربية).

وفي كتابه، أي (تاريخ آداب اللغة العربية)، تحدث زيدان عن الحكم العثماني ورماه بالظلم، كما تحدث عن وضع اللغة العربية، ووصفه بالْمُنحطِّ. وهو يعُدُّ سنة 1798 م سنة انتهاء الحكم العثماني لمصرَ، وذلك بدخول الفرنسيين[8].

---

[5] ضيف. شوقي ، بلا، " الفن ومذاهبه في الشعر العربي" ، ط11، القاهرة- مصر : دار المعارف، صص: 508-509

[6] المرجع السابق، ص: 507

[7] انظر: أبو خليل. شوقي ، 1981،" جرجي زيدان في الميزان"،ط2،دمشق-سورية: دار الفكر. ذكر المؤلف في مقدمة الكتاب ترجمة لزيدان ثم لخّص أبرز ما في حياته. ومن ذلك: شخصيته التي صنعتها المدارس التبشيرية في لبنان، وصفه بأنه رجل استخبارات بريطانيا في مصر وقد نال مكافآت على ذلك، علاقة جرجي زيدان بالمستشرقين مثل نولدكه وجولزيهر و مارجيليوث.

[8] انظر : زيدان. جرجي ، 2012، " تاريخ آداب اللغة العربية"، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ص: 1079

وفي وصف الإدارة والحكم يقول: "فآلَ ذلك طبعاً إلى فساد الأحكام وزيادة المظالم...، وأصبح همُّ الحكام سلبَ الأموال والتنازعَ على الاستبداد في الرعية المسكينة[9] "

إذن فهو يحدد مدة العهد العثماني، ولا سيما في مصر، بنحو ثلاثمئة عام. وفي حديثه يتناول هذه المدة كلها، ويطلق عليها الأحكام، دون تحديد، فلا يذكر أن هذه الأحوال أصابت العربية على عهد سلطان ما أو والٍ ما، وإنما يُجْمِل جميع العهد العثماني بتلك الأحكام.

وقد ذكر هذا الكلام ليكون توطئة لما تلاه في حق العربية وعلومها وشعرائها، إذ يقول: "أما في العصر العثماني فتمكَّن فيه الذُّلُّ من النفوس، وفسدت ملكة اللسان وجمَدت القرائح، فلم ينبغ شاعر يستحق الذكر خارج البقعة العربية"[10].

واضح أن جرجي زيدان يقدِّم لنا هذه الفِكَر على أنها أحكام مُسَلَّمٌ بها. وهذه الأحكام تكشف لنا خطأ التعميم المفرط الذي وقع فيه.

ومع ذلك فقد سرد زيدان أسماءَ كثير من الأدباء والشعراء وعلماء اللغة والمؤرخين والجغرافيين، في الولايات العربية عموماً، ومصر والشام خصوصاً. لقد عدّد نحو ستين مؤَلّفاً في الشعر، أكثرها كان مخطوطاً في وقته، كما أشار إلى كتب في اللغة والأدب في هاتين الولايتين، وقد ذكر عدداً من العلماء الذين ظهروا في تلك المدة في الروملي والأناضول[11].

وهنا لابد من سؤال: هل اطّلع جرجي زيدان على جميع المصنفات التي ألفت في ذلك العصر؟ ويُرجّح أن ذلك صعب جداً إذا لم يكن مستحيلاً. فإذا لم يكن فهل استطاع أن يستقرئ ويطالع هذه المؤلفات التي أشار إليها حتى خرج بحكمه ذاك؟! فإذا لم يكن الأول ولم يحصل الثاني، فإن ما قاله يبقى موضع شكٍّ، سواء في أحكامه على العصر العثماني، أو على اللغة العربية وعلومها.

---

[9] المرجع السابق، ص: 1079

[10] المرجع السبق، ص: 1079

[11] انظر: المرجع السابق، ص: 1129، وص:1133. فقد ذكر أسماء عشرة من العلماء المؤرخين، وذكر عدداً من مؤلفاتهم. ولا شكّ بأن عدد العلماء الذين كتبوا بالعربية في علوم العربية أكثر مما ذكر بكثير.

ولكن للأسف فقد شاع ما قاله من أحكام، وتداولها من بعده عدد لا بأس به من المؤرخين والمهتمين بدراسة الأدب والشعر العربي في ذلك العهد.

ومن الواضح أن الرأي نفسه، عن اتصاف الحركة العلمية وكذلك الأدب والشعر بالجمود والتكرار، قد تبنَّاه كارل بروكلمان (ت 1956م)، في كتابه (تاريخ الشعوب الإسلامية)، إذ يقول: "كانت حياة العثمانيين العلمية خِلواً، أو تكاد، من الأصالة والإبداع، فهي تتخذ سبيلها في مجاري التقليد والاتِّباع الثابتة"[12] . ثم تحدث عن الأدب والشعر فقال: "وكان إبداع العثمانيين في ميدان الأدب أقلَّ وأضأل من إبداعهم في حقل العلم نفسه"[13]. ولعله قصد بذلك الأناضول و الروملي.

ثم تبناها عدد من المؤلفين في التاريخ العام وتاريخ الأدب، مثل: محمود رزق سليم في كتابه الموسوم بـ(الأدب العربي وتاريخه في عصر المماليك والعثمانيين والعصر الحديث)، وقد نشر هذا الكتاب سنة 1957م، والملاحظ أن المؤلف لم يفرد للحديث عن العصر العثماني إلا ست صفحات من أصل مئتين وخمس عشرة فحسب، بينما نال العصر المملوكي نحو تسعين صفحة، وكانت البقية للأدب في العصر الحديث.

كما أننا نجد أفكاراً مشابهة لدى محمد عبد المنعم خفاجي في كتابه الموسوم بـ(الحياة الأدبية في مصر– العصر المملوكي والعثماني)، وقد طبع الكتاب سنة 1984. وكان المؤلف قد خصص للحياة الأدبية في ذلك العصر نحواً من ستين صفحة، من أصل مجموع الصفحات البالغ مئتين وخمس وخمسين. وغير ذلك من المؤلفات والكتب.

وكما يظهر، فإن الآراء السابقة ظهرت في أواخر القرن التاسع وأعيد نشرها على مدار قرن ونيّفٍ، وكذلك فإنَّها، وبسبب المبالغة في التعميم، شَمِلَت وضع التعليم والشعر في الولايات العربية، والولايات التركية معاً. نعم، لقد أُريدَ لهذه المقولات والدعاوى أن تتحول إلى سَمْتٍ عامٍّ لجميع الأطوار التي مرت بها الدولة العثمانية، ولجميع المناطق التي حكمتها تلك الدولة.

---

[12] بروكلمان، كارل. بلا، " تاريخ الشعوب الإسلامية"، تر: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، بيروت– لبنان: دار العلم للملايين، ص: 482

[13] المرجع السابق، ص: 485

2. أصحاب الرد على المقولات السابقة:

وفي مقابل هذه الآراء والأحكام، التي أُريد لها أن تشاع في العالم العربي الحديث ضد العثمانيين، في مقابلها ظهرت مؤلَّفات قامت بإعادة النظر في التاريخ العثماني، بعيداً عن التحيز والأحكام المسبّقة، ويُلحظ في تلك المؤلفات الاعتمادُ على المصادر العثمانية والتركية، وكذلك الرجوع إلى المخطوطات التي استطاعوا الوصول إليها، أو تلك التي صوّرت وحُقِّقت.

ومن هؤلاء عمر موسى باشا في مؤلّفه المعنون بـ (تاريخ الأدب العربي في العصر العثماني) الذي طُبع سنة 1989م، وقد رجع في جمع مادة كتابه إلى أزيد من عشرين مخطوطاً، وهذا كان مهماً في تقديم صورة مخالفة لما سبق ذكره عند شوقي ضيف وجرجي زيدان وبروكلمان.

وكذلك كتاب (العثمانيون في التاريخ والحضارة)، الذي ألفه محمد حرب، وقد نشر سنة 1994م، وفيه رجع إلى مصادر مهمة، كأرشيف طوبقابي وأرشيف رئاسة الوزراء وغيرهما.

وأيضاً سيد محمد سيد محمود في كتابه (تاريخ الدولة العثمانية- النشأة والازدهار)، وكان نَشْرُه سنة 2007 م. لقد رجع المؤلف إلى أحد عشر مصدراً باللغة العربية طبعت في إسطنبول وأنقرة، وكذلك سبعة وعشرون مصدراً باللغة التركية، إضافة إلى مؤلفات أخرى عربية أو تركية مترجمة، وغيرها الكثير من الدراسات والأبحاث المنشورة في المجلات والمؤتمرات والمواقع الإلكترونية.

وسوف نعرض لواقع اللغة العربية وتعليمها وعلومها من خلال المباحث الآتية:

المبحث الثالث- واقع اللغة العربية وتعليمها وعلومها

أولاً- السلاطين والعلم:

ومن الجدير بالذكر أن ننقل بعض اهتمامات السلاطين الأدبية والعلمية حتى ندّلِّل على أنهم أصحاب فكر وأدب وعلم، وليس كما يدعي بعض من العرب المستغربين أو أصحاب الفكر الشيوعي أو الإلحادي. فهذا هو السلطان مراد الثاني(ت 1451م)، وهو -كما يصفه محمد حرب- "صاحب

فضل على الأدب والشعر لا يُجْحَد، لأن نعمه حلّت على الشعراء الذين كان يدعوهم إلى مجلسه يومين في كلّ أسبوع ليقولوا ما عندهم...فيستحسن أو يستهجن، ويختار أو يطرح"[14].

نفهم من ذلك أن السلطان كان يشجع مجالس العلم والشعر، ويُجْزِل لهم العطاء. هذا إضافة إلى أنه- كما نُقِل في كتب التاريخ العثماني- "كان يحمى حركة الترجمة من العربية إلى التركية، ويشجّع هذه الحركة ويغذيها"[15].

وهنا نلاحظ الاهتمام بالعربية -لغة الحضارة والعلم- ونقل الكتب منها إلى التركية، ولا شكّ أن هذا يحتاج إلى خبراء وعلماء وتراجمة. ولو لم يكن السلطان مراد مُدركاً لقيمة العربية وللعلوم المكتوبة بها لما شجّع على ذلك وباركه.

أما السلطان محمد الفاتح(ت 1481 م)، فقد ذكرت كتب التاريخ أنه "راعٍ لنهضة أدبية، وشاعر مُجيد... شادَ دُور العلم ودور العبادة"[16]. ومن مزيّاته وخصائصه في العلم أنه" يجيد عدة لغات، وإجادته للغة العربية تفوق اللغات الأُخرى، ويداوم على المطالعة في كتبها، حتى قيل: إن جمهرة الكتب في مكتبته الخاصة كانت عربية"[17] .

وهذا يعني أن السلطان كان قد تلقى تربية خاصةً أصيلة، ووجّه إلى الاهتمام بالعربية لغة الدين، كما أنه كان يهتم بالشعراء والأدباء، إضافة إلى كونه ينظم الشعر، وهذا دليل على أن الفاتح واحد من السلاطين العارفين بالعربية.

واهتمام الفاتح بالعلماء واضح جليٌّ، فقد ذكرت كتب التاريخ أن السلطان" قرّب إليه العلماء، ورفع قدرهم، وشجّعهم على العمل والإنتاج، وبذل لهم الأموال، ووسّع لهم في العطايا والمنح"[18].

---

[14] حرب. محمد ، 1994، "العثمانيون في التاريخ والحضارة"، ط1، القاهرة- مصر :المركز المصري للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي، ص:181. نقلاً عن " النجوم الزاهرة" ابن تغري بردي، مج:16، ص:3

[15] المرجع السابق، ص: 181

[16] المرجع السابق، 182

[17] المرجع السابق، ص: 182

[18] الصلابي. علي ، 2001 " الدولة العثمانية: عوامل النهوض وأسباب السقوط"، القاهرة-مصر: دار التوزيع والنشر الإسلامية، ص: 139

أما السلطان بايزيد (ت 1512م)، ابن السلطان الفاتح، فهو كذلك محب للعلماء والشعراء والخطاطين، إذ حين انتقل من أماسيا–وكان أميراً عليها– إلى إسطنبول سلطاناً، "اصطحب معه أشهر الخطاطين، وخطاط العصر الشيخ حمد الله، وصاحَبَهُ أيضاً الشعراء من أصدقائه ومعارفه"[19].

وواضح من هذا أن السلطان كان يجالس العلماء ويكرمهم. ويلاحظ كذلك اهتمام السلطان بايزيد بالخط العربي، أحد الفنون الإسلامية المعروفة، وفي ذلك إشارة إلى التذوق الفني عند السلطان.

ولقد كان السلطان يشجع العلماء ويكرمهم ويجزل لهم العطاء. وغير خافٍ أن ذلك يدفع عجلة الحركة العلمية والفكرية إلى الأمام. "كان السلطان نفسه عالماً بالعلوم العربية والإسلامية... مهتماً بالأدب مكرماً للشعراء والعلماء. وقد خصّص مرتبات لأكثر من ثلاثين شاعراً وعالماً"[20].

ويذكر الصلّابي أن بايزيد " رتّب للمُفتي ومن في رتبته من العلماء كل عامٍ عشرة آلاف عثماني، ولكل واحد من مُدرّسي المدارس السلطانية ما بين سبعة آلاف وألفي عثماني"[21].

وما سلف ذكرُه عن اهتمام السلاطين بالعربية وعلومها كان قبل الحكم العثماني للبلاد العربية، أما السلاطين الذي دخلت البلاد العربية في حكمهم، فإننا نجد السلطان سليم (ت1520 م) مثل من سبقه، فقد كان يهتم بالعلم والفكر والأدب، وقد "استصحب معه في حملته على فارس الشاعرَ جعفر جلبي، والشاعرَ ابنَ كمال باشا في حملته على الشام ومصر، وجعل ولاية كردستان للمؤرخ الشاعر إدريس البدليسي. وكان من عادته استصحابُ العلماء والشعراء معه في حملاته"[22].

وهذا يدل دلالة واضحة على أهمية أهل العلم من كل صنفٍ عند السلطان سليم، فالرجل إنما يصطحب من يألَفُه ويأنس بحديثه، وهو ما كان يفعله السلطان سليم. وإن تولّي مؤرخ حُكْمَ ولاية له بالغُ التأثير في نفوس الناس، إذ إن السلطان يعظّم هؤلاء في نفوس الرعية، ويعطيهم مكانتهم العالية.

[19] حرب. محمد ، المرجع السابق، ص: 183

[20] المرجع السابق، ص: 183

[21] الصلابي. على ، المرجع السابق، 174

[22] حرب. محمد ، المرجع السابق، ص: 184

وكما كان بعض من سبقه من السلاطين يجيد العربية، فقد كان السلطان سليم كذلك "يجيد إجادة تامة العربية، ويشتغل بآدابها"[23]، وينظِم بعض الأشعار بها.

وما ذُكر آنفاً يعطينا فكرة جلية عن اهتمام السلاطين بالعلم والعلماء، كما يدلّل على اهتمامهم ومعرفتهم بالعربية، ونظم بعضهم الأشعار بها. وهذا يدحض زعم الزاعمين بجهل السلاطين بالعربية، أو إهمالهم للعلوم المختلفة ومحاربتهم لها.

ولقد انعكس اهتمام السلاطين بالعربية وعلومها في المؤسسات التعليمية العثمانية. وهذا ما سوف نناقشه في المبحث التالي.

ثانياً: التعليم والمدارس في العهد العثماني:

لقد انعكس حرص السلاطين على العلم والمعرفة والآداب والفنون، انعكس على ما تدوم به هذه العلوم وتزيد، أعني: المؤسساتِ التعليمية بمستوياتها المختلفة.

1. دعاوى بحق التعليم والمدارس:

لكن من الجيد ذكر ما دوَّنته بعض المؤلفات العربية عن المدارس والمؤسسات التعليمية جملةً، فهذا محمود رزق سليم يقول: "فرجعت البلاد القهقرى [مصر] وارتبكت أمورها واعتلّت مواردها وتكاثرت فيها ضروب الفساد وساد الجهل وساءت ... وأقفلت المدارس ونُهِبَت دور الكتب..."[24].

ومثل ذلك ما ذكره محمد عبد المنعم خفاجي، إذ يقول: " وفي الحق أن النهضة الثقافية[في مصر] قد أصابها الجمود والشلل والإعياء، فأصاب المدارسَ والمعاهدَ وجامعةَ الأزهرِ الركودُ، وتقلَّص ظلُّ الازدهار العلمي، وحُرِّمت دراسة الفلسفة والرياضة..."[25].

---

[23] المرجع السابق، ص: 184

[24] سليم، محمود رزق . 1957، " الأدب العربي وتاريخه في عصر المماليك والعثمانيين والعصر الحديث"، القاهرة– مصر: دار الكتاب العربي في مصر، ص: 92–93

[25] خفاجي، محمد عبد المنعم . 1984، " الحياة الأدبية في مصر في العصر المملوكي والعثماني"، القاهرة– مصر: مكتبة الكليات الأزهرية، ص:199

ويقول في موضع آخر من كتابه: " في العصر العثماني أغلقت المدارس والمعاهد، وأصابت الحياة العلمية في مصر والشام نكسةٌ خطيرة... ونهب بعض الولاة الأوقاف المحبوسة على العلم والعلماء، فعجز الطلاب عن الانقطاع للتعلم"[26].

2. الأناضول والقسطنطينية:

وبالعودة إلى المصادر العثمانية والكتب التاريخية والمخطوطات، فإننا نجد الاهتمام الكبير بالمدارس لجميع المستويات، ومنذ بدايات نشأة الدولة العثمانية، إذ كان طلبة العلم في الأناضول، يرحلون إلى البلاد المجاورة والمتطورة كمصر والشام وإيران ووسط آسيا،" فقد كان طلبة العلم في مناطق الأناضول يتوجهون إلى تلك البلدان للتخصص في العلوم المختلفة"[27] .

وكان السلاطين يهتمون ببناء المدارس بجوار الجوامع، كما فعل أورخان غازي (ت 1360م)ثم سار على نهجه السلاطين اللاحقون، كما أنهم حافظوا على المدارس التي أسست من قبل الإمارات الإسلامية السابقة ووقفوا عليها الأوقاف[28].

وفي عهد مراد الثاني أُسِّست كثير من المدارس قرب الجوامع والعمارات والخانات ونحوها، وأخذت مكانتها المرموقة حتى فتح إسطنبول.

لقد اختلف الأمر بعد فتح القسطنطينية، إذ جعل الفاتح منها مركزاً عالمياً للحضارة والعلم، وجعل العلماء يقبلون عليها، وكذا طلبة العلم. وهذا شجّع على فتح المزيد من المدارس وأشهرها مدارس (الصحن الثماني)، "وقد قسمت هذه المدارس إلى مدارس عالية ومتوسطة وابتدائية. وكانت المواد الدراسية في هذه المدارس تنحصر في العلوم الدينية والفلسفية والرياضية والأدبية"[29].

واستمر الأمر على عهد السلطان سليمان القانوني الذي أسس عدداً من المدارس للعلوم الرياضية والطبية، فقد" أقام أربع مدارس لتدريس علوم الرياضيات، وذلك علاوة على مدرسة دار الحديث

---

[26] المرجع السابق، ص:217

[27] محمود، سيد محمد السيد. 2007، "تاريخ الدولة العثمانية – النشأة والازدهار" ، القاهرة– مصر: مكتبة الآداب، ص: 436

[28] انظر: المرجع السابق، ص:437

[29] المرجع السابق، ص: 438

ومدرسة الطب، حيث أطلق عليها جميعاً مدارس السليمانية... في حجرات جامع السليمانية"[30]. أما المدارس الابتدائية فقد كانت تقوم بمهمتها في تعليم الصغار "مبادئ القراءة والكتابة والنحو والصرف"[31].

3. مصر:

الأمر لم يتعلق بإسطنبول أو الأناضول، بل عمّ ذلك مناطق كثيرة من البلاد العثمانية، إذ يوثّق لنا الرحّالة العثماني أوليا جلبي(ت1682م)، في رحلته إلى مصر والسودان وبلاد الحبش بين عامي 1672م-1680م، يوثّق ما شاهد من مؤسسات تعليمية كدور القرّاء ودور الحديث وكتاتيب الصبيان، واصفاً أحوالها وطلبتها ومعلميها. فقد ذكر أنه في القاهرة بلغت دُور الحديث ثمانمائة وستين داراً، ودور القرّاء بلغت ثلاثمئة وستين داراً[32].

أما الكتاتيب فقد ذكر أنَّه " يوجد بالقاهرة ألف وخمسة عشر كُتّاباً يتعلم فيها الصبية الحروف الهجائية...وبها أيضاً نحو ألفين من الكتاتيب الحسبية ...، ومن المحتم أن يكون فوق كل سبيل عالٍ كتّاب ذو شباك مزخرف مقرنس...، وخيرها هي الكتاتيب التي بمساجد السلاطين، وهي كُتّاب السلطان الغوري، وكتاب السلطان حسن، وكتّاب السلطان قلاوون، وكتّاب السلطان الأشرف، وكتّاب السلطان المؤيد"[33].

يشير هذا إلى أنّ الاهتمام بالقرآن الكريم والحديث الشريف وتعليم العربية استمرّ منذ العهد المملوكي حتى الوقت الذي أرّخ فيه جلبي لما شاهده. والسلاطين العثمانيون، وكذا الولاة حافظوا على ما فعله سلاطين العهد المملوكي.

[30] المرجع السابق، ص: 438

[31] المرجع السابق، ص: 438

[32] انظر: جلبي، أوليا . 2010، " الرحلة إلى مصر والسودان وبلاد الحبش"، ترجمة: الصفصافي أحمد القطوري، القاهرة- مصر: المركز القومي للترجمة، ج2، صص 157-159

[33] جلبي، أوليا . المرجع السابق، ص: 163

4. الحجاز:

أما في الحجاز فتوجه العلماء وطلبة العلم إلى الحجاز بسبب اهتمام الدولة العثمانية بالعلم والتعليم فيها، "فقد كانت أعداد كبيرة من العلماء تقصد المدينتين (مكة المكرمة والمدينة المنورة)...وقد ترتّب على وجود العلماء وجود المدارس والتلاميذ"[34].

أما عن تعليم الصبيان فـ "قد انتشرت الكتاتيب في الحجاز بشكل كبير، وكان يُخَصَّص للمتعلمين المساكن الخاصة بهم "[35].

ومن المدارس المشهورة في مكة مدارس السلطان سليمان القانوني، تأسست 1564م، ومدرسة داوود باشا: أنشأها أحد ولاة مصر خلال القرن السادس عشر، وكذلك مدرسة تعليم القرآن الكريم والحديث الشريف، وغيرها كمدرسة صوقوللي محمد باشا، ومدرسة سنان باشا. والحال في المدينة المنورة مشابه للحال في مكة المكرمة[36].

5. الشام:

وفي الشام كانت المدارس العثمانية كثيرة، فقد ذكرت مجلة دار المعلمين في القدس في عدديها الأول والثاني، عدد المدارس وتوزعها في كل من بيروت ودمشق وحلب، قبل عام 1908م[37]، على النحو الآتي[38]:

الرقم	المدينة	العدد
1	بيروت	ستون مدرسة
2	حلب	اثنتان وخمسون
3	الشام	أربعة وستون
4	الموصل	تسع عشرة

[34] عواد، فاطمة علي. 2015، "الحياة الثقافية في مكة المكرمة والمدينة المنورة في عهد السلطان عبد العزيز بن محمود الثاني"، مجلة جامعة الملك عبد العزيز– الآداب والعلوم الإنسانية، مج:22، ع: 1، ص: 34-35

[35] المرجع السابق، ص: 36

[36] انظر: المرجع السابق، ص: 38

[37] ذكرنا أمثلة من مختلف المناطق وكذلك من القرون المتعاقبة التي شملتها مدة الحكم العثماني.

[38] انظر "المدارس العثمانية الرسمية قبل وبعد عام 1908" ، نقلاً عن مجلة "دار المعلمين"، 1926، القدس، ع:1 و2، ص:91، تم الاطلاع عليها من موقع: التاريخ السوري المعاصر، رابط المقال : https://2u.pw/fAxl2Q

ونستشفُّ مما ذكر سابقاً أن الكتاتيب كانت تعلم مبادئ القراءة والكتابة والخط، ، ونحو ذلك. أما لليافعين فقد كانت المدارس تعنى بالعلوم الدينية، من حديث وفقه وتفسير، وعلوم اللغة العربية، كالنحو والبلاغة، إضافة إلى المنطق و الأخلاق والهندسة.

وما نذكره هنا يعد مادة أولية، إذ الأمر يحتاج مزيداً من البحث والتنقيب، حتى نخلص إلى أعداد حصرية أو قريبة من ذلك، عن المدارس وتوزعها في البلاد، وذلك بسبب طول مدة الحكم العثماني وكبر المساحة التي شملها. وقد حاولنا تقديم نماذج من القرون المختلفة عن المدارس والتعليم.

ثالثاً– المطبعة في العهد العثماني:

تأسيس المطبعة مرتبط ارتباطاً وثيقا بالنهضة العليمة الحديثة. وهناك حديث منتشر بين أوساط بعض المثقفين العرب، فحواه أن الدولة العثمانية حرمت المطبعة ومنعتها، وأن العثمانيين لم يعرفوا المطبعة إلا بعد زمن من ظهورها في أوربة. وكان هذا التأخر أحد أسباب التخلف والجهل الذي عاشته رعايا الدولة العثمانية.

1. ظهور المطابع الخاصة بالأجانب و بأهل العقائد الأخرى :

ولكن بعد مراجع الوثائق العثمانية والمصادر التاريخية نجد أنه" كان تأسيس أول مطبعة في الدولة بمدينة إسطنبول...، بواسطة الأخوين اليهوديين صامويل بن نحمياس و ديڤيد بن نحمياس، لخدمة المجتمع اليهودي بالمدينة عام 1493م أثناء فترة حكم السلطان بايزيد الثاني"[39].

وهذا الخبر يعطينا فكرة جلية عن أن المطبعة وصلت إلى الدولة العثمانية في القرن نفسه الذي ظهرت فيه بأوروبا، كما أنه يشير إلى الحرية الدينية التي كان يعيشها أهل العقائد المختلفة.

وكذلك فعل السلطان مراد الثالث عام 1588م، إذ أصدر مرسوماً يأذن فيه لتجارٍ إيطاليين ببيع كتب عربية وعثمانية وفارسية طُبعت في إيطاليا ... ومنها كتاب تحرير الأصول لإقليدس بترجمته العربية، مما ينفي ادعاء رفض السلطة العثمانية وجود كتب مطبوعة بالحرف العربي على أراضيها[40].

[39] انظر: عبد المجيد، كريم . 2016، " هل رفضت الإدارة العثمانية استخدام المطبعة". تم الاطلاع عليها من موقع إضاءات، رابط المقال : https://2u.pw/6E0gIs

[40] انظر: المرجع السابق

وهذا الخبر يعطينا فكرة عن تعامل السلطات العثمانية مع الأجانب، وعن طبيعة الكتب المطبوعة، وهي فلسفية.

توالى تأسيس المطابع في عاصمة الدولة العثمانية، فقد تأسست مطبعة للأرمن في إسطنبول عام 1567م، ومطبعة لليونانيين عام 1627م، أما في البلاد العربية فقد أسّست أول مطبعة للمسيحيين في دير قزحيا[41] بلبنان عام 1610م، ولكنها أقفلت سريعًا[42].

إذن بعد عرض ثلاثة أخبار يتضح أن تأسيس المطبعة في الدولة العثمانية كان متزامناً مع تأسيسها وانتشارها في أوربا أو بعد ظهورها بأمد غير بعيد. وكما هو واضح فإن من أُذن لهم بتأسيس المطابع كانوا من أهل الديانات الأخرى، من رعايا الدولة العثمانية، أو من الأجانب ولاسيما الإيطاليين.

أما تأخر الاعتماد الرسمي للمطبعة، فإن من أهم الأسباب لذلك هي:

1. منع بطالة ما يقارب 90 ألف خطاط، يكسبون عيشهم بكتابة الخط اليدوي.
2. الحساسية عند كتابة الكتب الدينية، بما في ذلك القرآن الكريم، والخوف من الخطأ في كتابته[43].

وهذا يشير إلى حرص المجتمع العثماني على القرآن الكريم واهتمامهم به، والحذر من أن يمسه الخطأ، كما يدل على الاهتمام بفئات المجتمع، ومنهم الخطاطون الذين يشكلون قوة عاملة كبيرة، تقدر بنحو 80 أو 90 ألفاً.

2. تأسيس المطابع الرسمية:

بعد هذه الأحداث التي ذكرت آنفاً قام إبراهيم المتفرقة (ت1744م) وبإذن من السلطان أحمد الثالث، ومع دعم من كبار رجال الدولة، وشيوخ الإسلام وبمساعدة (سعيد أفندي)، ببناء مطبعة خاصة بالمسلمين عام 1727م[44] ، طبعت فيها كتب متنوعة في موضوعات مختلفة ،كالطب والحكمة والتاريخ واللغة، ولم يسمَح بطباعة كتب التفسير والحديث والكلام.

---

[41] تقع هذه البلدة في قضاء زغرتا شمال لبنان

[42] انظر: المرجع السابق

[43] انظر: ترك برس، 2015، "الطباعة في العهد العثماني" ، رابط المقال : https://www.turkpress.co/node/15036

[44] انظر: المرجع السابق.

وبعد وفاة إبراهيم متفرقة خلَفَه إبراهيم وأحمد أفندي. وفي عام 1796 أسس عبد الرحمن أفندي مطبعة مهندس هانة مجدداً. وبعدها تم افتتاح مطبعة أوسكودار في عام 1802[45].

كما أن حلب عرفت المطبعة سنة 1704م، بعد قرنٍ من تأسيس أول مطبعة بحروف عربية في بلد عربي عام 1610م، كما ذكر أعلاه، " فقد قامت فيها أول مطبعة جاءت من فالاشيا[46] في عام 1704 ...، وفي عام 1730 أسس آ.زاخر مطبعة صنع حروفها بنفسه"[47].

ونخلص إلى القول بأنّ المطبعة لاقت القبول والانتشار في الدولة العثمانية في أوائل القرن الثامن عشر، علماً بأن المطبعة وصلت إلى الدولة العثمانية قبل ذلك، وقد كانت الطباعة بالحروف العربية. أما أسباب التأخر، فكما ذُكر سابقاً، فإنها تعود لقضايا اجتماعية وثقافية ودينية.

وهذا يقودنا إلى أهمية اللغة العربية لدى الدولة العثمانية، وهو ما سوف نناقشه في المبحث الآتي.

رابعاً– اللغة العربية والشعر العربي في الدولة العثمانية:

1. مظاهر الاهتمام باللغة العربية:

بعد أن تقدم الحديث عن اهتمام السلاطين بالعلوم والتعليم، وكذلك افتتاح المدارس مختلفة المستويات في بقاع كثيرة، ولا سيما الولايات العربية، وإنشاء المطبعة بالحروف العربية. بعد كل ذلك يمكننا أن نخمّن موقع اللغة العربية وعلومها في الدولة العثمانية.

لا شك أن هناك دعاوى بأن العثمانيين حاربوا العربية ونشروا الجهل في البلاد التي دخلوها، والوقائع التاريخية تثبت خلاف ذلك.

كيف لا، وقد كان معظم السلاطين على اطِّلاع بالعربية، وبعضهم نظم شعراً بها، مثل السلطان سليم . وعلى مستوى الإدارة فإن كثيراً من السلاطين كان يخط الرسائل بالعربية، كرسالة السلطان محمد الفاتح

[45] المرجع السابق

[46] فلاشيا: منطقة جغرافية تقع في رومانيا، وتعرف عند الأتراك باسم (الأفلاق EFLAK)

[47] انظر: حميدة، عبد الرحمن . 1992 ، " محافظة حلب"، دمشق– سوريا : وزارة الثقافة ، ص: 271

إلى سلطان مصر مبشراً بفتح القسطنطينية، وكذلك رسالته إلى شريف مكة بركات بن الحسن للغرض نفسه، وكرسالة السلطان سليمان إلى ملك فرنسا فرنسوا الأول، وككتابة الوقفيات باللغة العربية.

وقد اتخذوا من الحروف العربية وسيلة لكتابة لغتهم التركية، إضافة إلى دخول عدد مهول من المفردات العربية في اللغة التركية/العثمانية بلغت نحو 6000 كلمة[48].

كما تجلى اهتمام العثمانيين باللغة العربية في التعليم، وقد ذكرنا آنفاً أن العثمانيين أسسوا المدارس منذ أورخان بن عثمان، والمدرسة التي أسسها 1327م كانت مدرسة إزميد، وقد كانت تدرّس فيها الكتب ذات القيمة العلمية البالغة في العلوم العربية والدينية. من ذلك في التفسير: الكشاف للزمخشري، وفي الحديث الصحاح الستة، وفي الفقه الهداية لعلي بن أبي بكر المرغاني، وفي العقائد: كتاب القاضي الإيجي،. ولهم كتب مقررة في أصول الفقه وعلم الكلام[49].

وكما يلاحظ فإن هذه الكتب من أهم الكتب وأعظمها في الموضوعات التي تدرّس، وهي من المراجع المعتمدة، حتى الآن في البلاد العربية. لقد كانت هذه الكتب تدرّس في الأناضول وفي إمارة العثمانيين، وحتى بعد أن تحولت إلى دولة واتسعت رقعتها.

هذا يدلُّ على العناية بالعلوم الإسلامية، إذ لا تختلف مقررات العلوم الإسلامية في الأناضول عن تلك المقررة في البلاد العربية.

أما مواد اللغة العربية ذاتها وتعليمها، فقد كانت المواد المعتمدة هي النحو والصرف، ومن الكتب المقررة في هذين العلمين: في النحو: ألفية ابن مالك، وشذور الذهب. ومن كتب الصرف أساس التصريف لشمس الدين الفناري، والمقصود، ومرح الأرواح لأحمد بن علي بن مسعود. وفي البلاغة: مفتاح العلوم للسكاكي، تلخيص المفتاح للقزويني[50].

---

[48] تبلغ الكلمات العربية في اللغة العثمانية نحو 6000 كلمة، وأما باللغة التركية الحديثة فنحو ألفي كلمة، وقد جمع الباحث عدداً من الكلمات المشتركة التي تحمل المعاني التي لم تتغير، فبلغت نحو 1625 كلمة. طبع الكتاب بعنوان: "Arapça Türkçe ortak kelimeler"

[49] انظر: حرب، محمد . المرجع السابق، صص: 315-316

[50] المرجع السابق، ص:316

وهنا كذلك نجد الاهتمام والعناية البالغين في رفع سوية المتعلم، ذلك أن هذه الكتب من عيون الكتب في تعليم النحو والصرف والبلاغة. ومن المتوقع أنّ من يقرأ هذه الكتب، وكذلك كتب العلوم الإسلامية، فإنه سوف يكون، بلا ريبٍ، ضليعاً من العربية وعلومها.

وقد كان كثير من الإنتاج الفكري، في العصر العثماني، باللغة العربية، وليس أدل على ذلك من كثرة المخطوطات التي تحتفظ بها المكتبات التركية، إذ يقدر عدد تلك المخطوطات بنحو 300ألف، منها في مكتبة السليمانية نحو 200 ألف مخطوط.

وقد تحدث كل من طاش كوبري زاده (ت1561م)، وهو غير عربي، في مصنفه(مفتاح السعادة ومصباح السيادة)، وحاجي خليفة (ت1657م) ،وهو كذلك غير عربي، تحدث في (كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون) عن العلوم والكتب والعلماء الذين أسهموا في الحركة العلمية والإنتاج الفكري، كلٌّ حتى وقته.

ولهؤلاء العلماء ولغيرهم مصنفات كتبت بالعربية، كما فعل طاش كوبري زاده، فمن كتبه (الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية). أما حاجي خليفة فمن كتبه (تحفة الأخيار في الحكم والأمثال والأشعار). ومن العلماء مصطفى رمزي الأنطاكي 1688، وقد كتب (نظم البيان على مختصر سعد في المعاني والبيان)، وكذلك كتابه (غنية الأريب عن شروح مغني اللبيب)، ومن العثمانيين كذلك محمد أمين الأوسكداري (1732 م)، وقد كتب (حاشية على حاشية المطول للجرجاني).

وفي علوم العربية ، ولا سيما النحو والصرف والبلاغة، فقد نشر إبراهيم شعبان İbrahim Şaban مقالاً، أشبه بيبلوجرافيا جمع فيه عدداً من المؤلفات التي عنيت بالبلاغة العربية، كتبها علماء ،كثير منه غير عربٍ، تضمن المقال نحو مئة وستة عشر عنواناً[51]، شملت جميع مدة حكم العثمانيين.

وقام كذلك محمد ياووز Mehmet Yavuz بإعداد بيبلوجرافيا، ذكر فيها أسماء لمؤلفين ومصنفات لهم في النحو والصرف. جميعها كتب بالعربية[52].

[51] İbrahim ŞABAN, "Osmanlı Alimlerinin Arap Belagatine Dair Eserleri https://dergipark.org.tr/en/download/article-file/10359

[52] Mehmet YAVUZ "IX.(XV) Asırda Arap Gramerine Dair Eser Yazan Bazı Osmanlı Alemleri" https://dergipark.org.tr/tr/download/article-file/10367

2. الشعر العربي:

2.1 الشعر والشعراء العرب:

هناك كلام كثير على حال الأدب عامة والشعر خاصة في ذلك العصر، وقد أشرنا إلى رأي جرجي زيدان، إذ يقول: "وفسدت ملكة اللسان وجمَدت القرائح فلم ينبغ شاعر يستحق الذكر خارج البقعة العربية"[53]. وكما كان رأي شوقي ضيف على غرار زيدان، إذ قال: "إذ اقتصر [الشعر]على جماعة يقرؤون بعض القصائد الموروثة ... ثم يعارضونها أو يخمسونها أو يربّعونا"[54].

وهذا إشارة إلى أن الشعر نحا منحى التقليد والتكرار، وفقد الجدة والابتكار. ولكن من يرجع إلى الكتاب يجد أن شوقي ضيف لم يفرد للحديث عن الشعر، في ذلك العصر، سوى صفحة ونصف لا غير، كما أنه لم يذكر من الشعراء إلا شاعرين اثنين هما شهاب الدين الخفاجي(ت 1659م) وعبد الحليم العباسي.

أما عمر موسى باشا فقد قدّم في كتابه (الأدب العربي في العصر العثماني) عدداً من شعراء العربية، ويتضح الجهد الذي بذله المؤلّف، وذلك لكثرة الرجوع إلى المصادر الأصيلة من مخطوطات أكثرها لم يحقق، فقد أحال في كتابه إلى نحو واحداً وعشرين مخطوطاً، منها دواوين شعراء عدد من الشعراء ومؤرخين، مثل: ديوان الخال الطالوي، سفينة ابن مبارك شاه، نفحة الريحانة و رشحة طلاء الحانة للمحبي، ديوان أبي معتوق، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية للمناوي[55].

وفي هذا الكتاب تحدث المؤلف عن عد من الشعراء، ومن الشام والعراق، وهم:

---

[53] زيدان، جرجي . مرجع سابق، ص: 1079

[54] ضيف، شوقي . مرجع سابق، ص: 507

[55] انظر: موسى باشا، عمر. 1989، "تاريخ الأدب العربي- العصر العثماني"، دمشق- سورية: دار الفكر، صص:661-662

جدول بأشهر شعراء العربية في العصر العثماني

الرقم	الشاعر	تاريخ الوفاة
.1	ابن النحاس الحلبي	1052 هـ –1642 م
.2	منجك اليوسفي	1080 هـ - 1669 م
.3	ابن النقيب الحسيني	1081 هـ - 1670 م
.4	أبو معتوق شهاب الموسوي	1087 هـ- 1676 م
.5	الخال الطالوي	1117هـ - 1705م
.6	عبد الغني النابلسي	1143هـ -1731م
.7	الكيواني الدمشقي	1173هـ - 1759م
.8	أمين الجندي	1257هـ -1841 م

وفي كلامه على الشعراء اتّبع منهجاً محدداً، فهو يبدأ بحياة الشاعر، ثمّ آثاره وأغراضه الشعرية ثم أسلوبه ومذهب في الشعر.

ويرى موسى باشا أن هناك شعراء تحللوا من قيود الصنعة البديعية[56]، كالشعراء السابق ذكرهم. ومن الجيد الإشارة إلى الفنون المستحدثة في هذا العصر من التربيع والتدوير والتخميس، أو من انتشار حساب الجمَّل ، أو ظهور فنون أدبية كالبند في جنوب العراق ... وهذه تعطي طابعاً مائزاً، إذ إنها تعد خصيصة من خصائصه، مثلما أن للعصر الأندلسي خصائصَه، كظهور الموشحات[57].

2.2 غير عرب نظموا الشعر العربي:

لم يكن الشعر خاصاً بالشعراء العرب، بل ظهر من غير العرب من ينظم الشعر العربي. وقد أشرنا آنفاً إلى اهتمام بعض السلاطين بنظم الشعر العربي كالسلطان سليم، ومن السلاطين كذلك السلطان عبد الحميد الأول (ت 1789).

[56] باشا. عمر موسى ، المرجع السابق، ص: 44

[57] انظر: المرجع السابق، صص 77–85

أما من شيوخ الإسلام فقد برع أبو السعود أفندي (ت 1674م) بنظم الشعر العربي، وكذلك عارف حكمت (ت 1858م) وقد ترجم له الزركلي في أعلامه :" له نظمٌ باللغات العربيَّة والفارسيَّة والتركيَّة، وكتابٌ بالعربيَّة سمَّاه (الأحكام المرعيَّة في الأراضي الأميريَّة)، ومجموعة تراجم لعلماء القرن الثالث عشر، لعلَّها بالعربيَّة، اقتبس منها صاحب (هديَّة العارفين)، وللشهاب محمود الألوسي كتاب في ترجمته سمَّاه (شهى النغم، في ترجمة عارف الحِكَم)"[58]. لكن الكتاب نشر بعنوان (الصادح بشهي النغم على أفنان ترجمة شيخ الإسلام وولي النعم)، وقد اعتنى به ذاكر عودة حمادي الحنفي.

ومن الشعراء الذين نظموا بعضاً من شعرهم بالعربية كما نظموا بالتركية أو الفارسية، فنجد الشاعر فضولي البغدادي(ت1556م)، فقد نظم الشعر باللغات الثلاث: التركية والفارسية والعربية،" يقول في مقدمة ديوانه التركي: إنه نظم الأراجيز بالعربية، ويقول في مقدمة ديوانه الفارسي: إنه أتحف فصحاء العرب بفنون شعره العربي. ويقول مؤلف تركي قديم يسمى صادقي...: إن لفضولي ديواناً بالعربية، يتألف من غزليات وقصائد، ولقد اطّلع على قرابة ثلاثين ألف بيتٍ كتبها فضولي بخطه"[59].

ومنهم كذلك يوسف أفندي النابي، وقد ترجم له المرادي في سلك الدرر، فقال: "الرَّهاوي الأصل الحنفيُّ نزيل قسطنطينيَّة، وأحد خواجكان الدَّولة ورؤسائها المشهورين بالمعارف والأدب، الأديب الشَّاعر النَّاظم النَّاثر المشهور، فمن شعره العربيّ قوله مضمِّنًا:

لنا حبيبٌ له في كلِّ جارحةٍ مِنِّي جراحٌ بسيف اللَّحظ والمقلِ
تقول وجنته من تحت شامتهِ لي أسوةٌ بانحطاط الشَّمس عن زحلِ"[60]

وإني لأشكك بما قاله جرجي زيدان، من أنه "لم ينبغ شاعر يستحق الذكر خارج البقعة العربية"[61]. وكي نقطع الشك باليقين، نحتاج إلى مزيد دراسات تتناول الشعراء العثمانيين والعلماء في اللغة والشريعة.

---

[58] الزركلي، خير الدين . 2002 ،" الأعلام قاموس تراجم"، ط5 ، دار العلم للملايين، ج1 ، ص:141

[59] انظر: عتيق، عمر. 2010، "ملامح من المثاقفة التركية العربية"، مجلة أفكار، ع:255، وزارة الثقافة الأردنية، صص: 44-52 نقلاً عن : المصري، مجيب حسين . " أثر الشعر العربي في الأدب التركي"، مجلة الأدب الإسلامي، المجلد التاسع، ع: 36

[60] المرادي، محمد خليل بن علي.1988،"سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر"،ط3، دار ابن حزم، جزء 4، ص:264

[61] زيدان. جرجي، مرجع سابق، ص:1079

خاتمة

وهكذا فإننا ذكرنا في هذا البحث كيف ظهرت بعض المقولات التي تسم الحركة العلمية والأدبية في العصر العثماني عامة، واللغة العربية وتعليمها وعلومها خاصة، تسمها بالتراجع والانحطاط. وقد بيّنا أن تلك الحركة ليس كما وصفوا، وذلك واضح وجلي من خلال النتائج الآتية:

1. اهتمام السلاطين بالعلم والأدب، حتى إن عدداً منهم كان ينظم شعراً بالعربية.
2. حرص السلاطين والولاة على تأسيس المدارس التي تعنى من بين ما تعنى به تدريس العلوم الشرعية والعلوم العربية.
3. حضور اللغة العربية والاهتمام بالعربية في الإدارة والتأليف.
4. ظهور شعراء عرب لهم قيمتهم الأدبية.
5. الإشارة إلى بعض الشعراء من غير العرب، نظموا بالعربية شعراً عالياً.

وهذه الأمور كلها دليل على حضور اللغة العربية في العهد العثماني في مختلف الميادين..

وفي ضوء ما توصلت إليه الدراسة من نتائج يقدم الباحث التوصيات الآتية:

1- تشجيع الدراسات التاريخية التي تبين دور العصر العثماني في تعليم اللغة العربية.
2- الدعوة لمؤتمر علمي حول اللغة العربية في العصر العثماني.

وبناء على ما سبق التُوصل إليه من نتائج وتوصيات، يقترح الباحث إجراء الدراسات الآتية:

1- تحقيق المخطوطات المتعلقة باللغة العربية في العصر العثماني.
2- القيام بدراسات دراسة تتعلق بدور السلاطين العثمانيين والعلماء الكبار وشيوخ الإسلام في ترسيخ حضور اللغة العربية تعليما وتعليما وأدبا.
3- القيام بمزيد بدراسات عن المدارس والتكايا المنشأة في العصر العثماني، ورصد المحتوى التعليمي والمقررات الدرسية فيها، في شتى البلاد المنضوية تحت الحكم العثماني.

المصادر والمراجع

الكتب:

أبو خليل، شوقي. 1982، " جرجي زيدان في الميزان" ، دمشق- سورية: دار الفكر.

بروكلمان، كارل. 1968، " تاريخ الشعوب الإسلامية"، تر: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، بيروت- لبنان: دار العلم للملايين.

جلبي، أوليا. 2010 " الرحلة إلى مصر والسودان وبلاد الحبش" تر: الصفصافي أحمد القطوري، القاهرة –مصر: المركز القومي للترجمة.

حرب، محمد. 1994،" العثمانيون في التاريخ والحضارة"، القاهرة- مصر: المركز المصري للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي.

حميدة، عبد الرحمن " محافظة حلب"، 1992، دمشق- سورية: وزارة الثقافة.

خفاجي، محمد عبد المنعم. 1984، " الحياة الأدبية في مصر في العصر المملوكي والعثماني"، القاهرة- مصر: مكتبة الكليات الأزهرية

الزركلي، خير الدين " الأعلام قاموس تراجم"

زيدان، جرجي. 2012 " تاريخ آداب اللغة العربية"، القاهرة- جمهورية مصر العربية: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.

سليم، محمود رزق. 1957، " الأدب العربي وتاريخه في عصر المماليك والعثمانيين والعصر الحديث"، القاهرة- مصر : دار الكتاب العربي في مصر

الصلابي، علي محمد. 2001، " الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط"، القاهرة- مصر: دار التوزيع والنشر الإسلامية.

ضيف، شوقي. بلا، "الفن ومذاهبه في الشعر العربي"، ط11، القاهرة- مصر: دار المعارف.

محمود، سيد محمد السيد. 2007، "تاريخ الدولة العثمانية النشأة والازدهار"، القاهرة- مصر: مكتبة الآداب.المرادي، محمد خليل بن علي " سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر"، ط3، دار ابن حزم

موسى باشا، عمر.1989، " تاريخ الأدب العربي العصر العثماني"، دمشق-سورية: دار الفكر.

SAHARİ, Usama. 2017 "Arapça Türkçe Ortak Kelimeler", İstanbul: Akdem Yayınlari

المقالات والبحوث المطبوعة :

عتيق، عمر. 2010، "ملامح من المثاقفة التركية العربية"، مجلة أفكار، وزارة الثقافة الأردنية.

عواد. فاطمة علي ،2015، "الحياة الثقافية في مكة المكرمة والمدينة المنورة في عهد السلطان عبد العزيز بن محمود الثاني"، مجلة جامعة الملك عبد العزيز- الآداب والعلوم الإنسانية، مج:22، ع:1

- المقالات المنشورة عبر الشبكة العنكبوتية

التاريخ السوري المعاصر، "المدارس العثمانية الرسمية قبل وبعد عام 1908" ، نقلاً عن مجلة "دار المعلمين"، 1926، القدس، ع:1 و2، ص:91، تم الاسترجاع من الرابط : https://2u.pw/fAxl2Q

عبد المجيد. كريم،2016، " هل رفضت الإدارة العثمانية استخدام المطبعة". تم استرجاع من الرابط: https://2u.pw/6E0gIs

ترك برس، 2015، "الطباعة في العهد العثماني" ، تم الاسترجاع من الرابط: https://www.turkpress.co/node/15036

ŞABAN, İbrahim. "Osmanlı Alimlerinin Arap Belagatine Dair Eserleri" https://dergipark.org.tr/en/download/article-file/10359

YAVUZ, Mehmet. "IX.(XV) Asırda Arap Gramerine Dair Eser Yazan Bazı Osmanlı Alimleri", https://dergipark.org.tr/tr/download/article-file/10367